﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [يس: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تسليةُ النّبيِّ ﷺ مِن مقاصدِ القرآن

لمّا كان مِن أعظم مقاصدِ السّياقِ تسليةُ النّبيِّ ﷺ، لِتَوقُّف قومِه عنِ المبادرة إلى الإيمان به، مع دعائه بالكتاب الحكيم إلى صراطٍ مستقيم، وكان في المشاركة في المصائب أعظمُ تسليةٍ؛ أبدلَ من قوله: ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ تفصيلًا لذلك المجيء، وبيانًا له؛ فقال: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾: (عزّ) أصلٌ يدلُّ على شِدَّةٍ وقوَّةٍ وما ضاهاهُما مِن غلبةٍ وقَهْرٍ، قالَ الفرّاءُ: يُقالُ: عَزَزْتُ عليه، فأنا أَعِزُّ عِزًّا وعَزازَةً، وأَعزَزْتُهُ: قوَّيتُهُ، وعَزَّزْتُهُ أَيْضًا[2]، والعِزَّةُ: حالةٌ مانعةٌ للإنسان مِن أن يُغلَب، مِن قولهم: أرضٌ عَزازٌ، أي: صُلْبَةٌ، وتَعَزَّزَ اللّحمُ: اشتدّ وعَزَّ، كأنّه حصل في عَزازٍ يَصعبُ الوصولُ إليه[3]، والتَّعزيزُ في قوله تعالى ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ مُرادٌ بهِ: التَّقويَةُ والنُّصرةُ مع التَّعظيم[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تجديدُ الدَّعوةِ بِزيادةِ ثالثٍ، لإحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطل

أخبر اللّه تعالى أنَّه حين أرسل إليهم رسولَين بادروا إلى تكذيبهما في الرّسالة، فأيّدهما اللّه وقوّاهما برسول ثالث، فقالوا لأهل تلك القرية: إنّا مرسَلون إليكم مِن ربِّكم الذي خلقكم لِكَيْ تعبدوه وحده لا شريك له، وتتركوا عبادةَ الأصنام[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 104 - 105.
(2) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عز).
(3) الراغب، المفردات: (عز).
(4) المراغي، تفسير المراغي: 6/ 72.
(5) المراغي، تفسير المراغي: 22/ 151.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآية:

مجيءُ الكلامِ على البدلِ للاعتناء بالكلام وللتّنبيه إلى الإصغاء إليه

جاء قولُه تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ بطريق الفصل، لكمالِ الاتّصال؛ لأنَّ جملة ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾ بدلُ بعضٍ من كلٍّ، أي مِن قوله: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، ليظهرَ بمجموع البدل والمُبدلِ منه مزيد اعتناءٍ بشأنِ الكلام، والمقامُ يقتضي اعتناءً بشأن الإخبار عن حال المرسَلين مع أصحاب القرية، وتفصيلِ أخبارِهم، لغرابةِ القصَّة، ومجيءُ البدل أوفَى بتأدية المراد، فكأنَّه أُجمِلَ في قوله: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، ثمَّ فصّل في قولِه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾، ولا يأتي مثلُ هذا الأسلوب إلّا فيما عظُم أمرُه، وجلَّ بيانُه؛ لشدِّ السّامعين إلى الإصغاء إليه، فرُبَّما لم يتنبَّهِ السّامعُ إلى الجملة الأولى؛ أي المُبدلِ منه، فيأتي البدل بيانًا إيضاحًا لِما يكون قد فات السّامعَ.

نُكتةُ تَكرارِ لفظِ ﴿إِذْ﴾:

تعظيمُ الوقتِ لتعظيم الحدثِ الواقعِ فيه

جاء ظرفُ الزّمان ﴿إِذْ﴾ في قولِه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ بدلًا مِن ﴿إِذْ﴾ في قولِه: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ بَدَلَ مُفَصَّلٍ مِن مُجْمَلٍ وهو يدخلُ في نطاق البدلِ المطابقِ أو بدلِ الكلّ منَ الكلّ، كأنّ الله قال: (اضرب لهم مثلًا إذ أرسلنا إلى أصحاب القرية اثنين).

أو يكون ﴿إِذْ﴾ ظَرْفًا والفعلُ الواقعُ فيه ﴿جَآءَهَا﴾ أي: (جاءَها المُرسَلون حين أرسلناهم إليهم)، أي لم يكن مجيئُهم من تلقاءِ أنفُسهم، وإنَّما جاءوهم حَيْثُ أُمِروا، وهذا فيه لَطيفَةٌ على القول بأنّ الرُّسُلَ كانوا مَبعوثينَ من جهة عيسى ﷺ إلى أنْطاكيَّةَ، وهي كأنّ الله تعالى قال: إرسالُ عيسى ﷺ هو إرسالُنا، ورَسولُ رَسولِ اللهِ بإذنِ اللهِ رَسولُ اللهِ، فَلا يَقَعُ لَكَ يا مُحَمَّدُ أنَّ أولئك كانوا رَسولَ الرَّسولِ، وأنتَ رَسولُ اللهِ، فَإنَّ تَكذيبَهم كتكذيبِك، فَتَتِمُّ التَّسْليَةُ بِقَوْلِه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾[1].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 260.

وعلى كُلٍّ؛ فقد جاء تَكرارُ أداة الظّرف ﴿إِذْ﴾ في كلٍّ من قوله: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ وقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ للإشادة بأهمّية هذا الزّمن لاشتماله على حدثٍ عظيمٍ.

فائدةُ الإسنادِ إلى ضميرِ العظمة:

مِن شأن الرّسولِ أنْ لا يُقصِّر في أداءِ رسالته

أُسنِد الفعلُ في قوله: ﴿أَرْسَلْنَآ﴾ إلى ضمير العظمة؛ للإشعار بأنَّ إرسال الرُّسل إنّما يكون لِما لله تعالى مِنَ العظمة، وأنَّ هذا الأمر لا يقدرُ عليه إلّا الله الملكُ الواحدُ الأحدُ، فيتضمّن اللّفظُ التّرهيبَ مِن مخالفتِهم وعصيانِهم، وفي إسناد الإرسال إلى ذاتِه سبحانَه أعظمُ تسليَةٍ للنّبيِّ ﷺ [1]، وفيه أنَّ إرسالَ الاثنيْنِ كافٍ وافٍ؛ لعَظَمَة الإرسال، وعَظَمةِ الرِّسالة في نفسها، وعَظَمَةِ الرّسولَيْنِ في أنفسهما، ولكنَّ العيبَ في القوم المُكذِّبينَ.

نُكتةُ إسنادِ الإرسالِ إلى الله تعالى على خلاف الظّاهر:

وقـوعُ الإرسـالِ بإذن الله وأمره

ذهب جمهورُ المُفسِّرين إلى أنَّ القرية هي أنطاكيَّة، وأنَّ الرّسل المذكورين هم رُسلُ عيسى ﷺ إلى هذه القرية، يَدْعون النّاس إلى عبادة الله وحده، فلمّا أُسْنِد الإرسالُ إليه تعالى مع أنَّه فعلُ رسولِه - بإذنه تعالى - كانَ كأنَّ الله تعالى يقول لسيّدنا محمَّد ﷺ: إرسالُ عيسى ﷺ هو إرسالُنا، ورسولُ رسولِ الله بإذن الله هو رسولُ الله، فتكذيبُهم كتكذيبِك، فيكتملُ التّمثيلُ، وتتمُّ التّسليةُ بقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾، ففيه إشارةٌ إلى أنَّ وكيل الوكيلِ بإذن الموكِّل يكون وكيلَ الموكِّل[2].

وذهب بعضُ المُفسّرين إلى أنَّ الإسناد على ظاهره، وأنَّ المُرسَلين إلى هذه القرية أنبياءُ أرسَلَهُم الله تعالى قبل عيسى ﷺ، وأنَّ أصحاب القرية كانوا عُبّادَ أصنامٍ[3]، والظّاهرُ مِنَ الآية والتي بعدها هو المعنى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 105.
(2) ابن عادل، اللباب: 16/ 182، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 161.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 449، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 53.

المُجملُ، وهو أنَّ اللّه تعالى بعث إلى القرية رسولَيْنِ، فَدَعَيا أهلَ القرية إلى عبادة اللّه تعالى وحده، وإلى الهدى والإيمان، فكذّبوهما، فشدّد اللّه تعالى أمرَهما بثالثٍ، وقامَتِ الحُجَّةُ على أهل القرية[1].

فائدةُ تقديمِ ﴿إِلَيۡهِمُ﴾ على ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾:

الإشعارُ بشدّةِ كفرِ أصحاب القرية إذ لم ينفعْهم تعدّدُ الرُّسل

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿إِلَيۡهِمُ﴾ على المفعول ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ في قوله: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾ للاهتمام بشأن أصحابِ القرية، إذ همُ المقصودون بالرّسالة، وبمجيء الرُّسل إلى القرية، ويُلمَحُ في التّقديم القصرُ الإضافيُّ لخصوص العدد المذكور، بمعنى: أرسلنا إليهم دون غيرِهم اثنين، ففيه إشعارٌ بشدّة كفرِهم، وتصميمِهم عليه، بحيث لم يُؤثّر فيهم تعدُّدُ المرسَلين، فكان في التّقديم فَرْشٌ لقوله: ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾.

دلالةُ تخصيصِ العدد:

إرسالُ رسولَين لإقامة الحُجّةِ البالغةِ

خُصِّصَ العددُ بـ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾؛ للإشعار بأنَّ بعضَ القوم لا يؤثّرُ فيهم قولُ رسول واحد، فأرسل اللّه تعالى إليهم رسولَيْنِ؛ ليُعضّد أحدُهما الآخرَ، فيكونَ أشدَّ لأمرهما، أو لأنّ في بعثَةِ الاثنَيْنِ حِكْمَةً بالغَةً، على القولِ بأنَّ عيسى ﷺ هو الذي بعثهما إلى القريةِ، وهي أنَّهُما لمّا كانا مَبْعوثَيْنِ مِنْ جِهَةِ عيسى بِإِذْنِ اللّهِ كانَ عليهما إنْهاءُ الأَمْرِ إلى عيسى، والإتيانُ بما أَمَرَ اللّهُ، واللّهُ عالمٌ بكُلِّ شيءٍ، لا يحتاجُ إلى شاهدٍ يَشْهَدُ عنده، وأمّا عيسى فَهوَ بَشَرٌ، فَأَمَرَهُ اللّهُ بإرْسالِ اثْنَيْنِ ليَكونَ قَوْلُهُما على قَوْمِهما عند عيسى حُجَّةً تامَّةً[2].

دلالةُ حذفِ الموصوفِ وذِكْرِ الصّفة:

كمالُ صفةِ الرّسالةِ في هذين الرَّجُلين

في قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾ حذفٌ تقديرُه: (أرسلنا رسولَين اثنين)، فحُذف الموصوف إيجازًا، لوضوح المعنى بوجود

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 449.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 260.

القرينة ﴿أَرْسَلْنَآ﴾، فالصّفةُ ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ مضمَّنَةٌ وصْفَ الرّسالة بما دلَّ عليه الفعل ﴿أَرْسَلْنَآ﴾، وفي الحذف إنباءٌ بكمال الصّفة فيهما، فحالُهُما يدلُّ على كونهما رسولَيْنِ، وهذه إقامةٌ للحُجَّةِ على القومِ أصالةً، ومدحٌ لهما تبعًا.

بلاغةُ الإيجازِ بطيِّ الكلام:

في قبْضِ الكلام قبضٌ لقلوبِ المُتَلَقّين مِنَ العاصين

في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إيجازٌ بطَيِّ الكلام، وتقديرُه: (أرسلنا إليهم اثنين، فأخبراهم بإرسالهما إليهم، كأنْ قالا: نحن رسولان إليكم لتؤمنوا بالله، فكذَّبوهما)، أو: (فأتَياهم، فدعواهم إلى الحقِّ، فكذَّبوهما في الرِّسالةِ)[1]، فجاء الكلام على الإيجاز، لانصباب الكلام على الغرض الأهمِّ؛ وهو الإخبارُ عن تكذيب القوم لهما، والمحذوفُ معلومٌ؛ بقرينة قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾، والإيجازُ بالحذفِ أبلغُ في الإنذارِ والتَّهديدِ الذي هو مقصودُ السّورةِ.

فائدةُ الفاءِ في قولِه ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾:

الإسراعُ إلى تكذيب المرسَلين كُفرًا وبُغضًا وتكبُّرًا

تُفيد الفاءُ في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ التّرتيبَ والتّعقيبَ، بمعنى أنَّ أصحاب القرية عاجلوا الرّسولَين بالتّكذيب، ولم يُمهلوهما، وهذا يشير إلى أنّهم جديرون بالوعيد الشّديد، وقُربِ وقوعِ العذاب عليهم؛ لأنَّ ترتُّبَ التّكذيب على قولِه: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ أشْعرَ أنَّ أصحاب القرية كذّبوا الرّسولَين بسبب إرسال الله تعالى لهما، وأنّهم يُبغضون التّوحيدَ والإيمانَ بالله إلهًا وربًّا.

دلالةُ صيغةِ (فعّل):

شدّةُ تكذيبِ القوم وتكرُّرُه منهم

أفادت صيغةُ (فعّل) في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ شدّةَ تكذيبِ القوم لهما، لِتكرّر فعْلِ التّكذيب مرَّةً بعدَ مرَّة، بمعنى أنَّهم كذّبوهم في كلِّ تبليغٍ للرّسل، وفي كلِّ دعوة بلّغوها لهم.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 105، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 161.

بلاغةُ الكنايةِ في قوله ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾:

لمّا كان الفعلُ في قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ يفيدُ تَكرارَ تكذيبِ القوم للرّسولَين، أفاد بلازمِه استمرارَ الرّسولَين في دعوتِهما، وتَكرارَ الأمرِ منهم، وهذه دلالةٌ كنائيَّةٌ، أو هي مِن مُسْتَتْبعاتِ التَّراكيبِ.

دلالةُ ذِكْرِ الضّميرِ في قوله ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾:

في ذِكْرِ الضّميرِ بيانُ تكذيبهم وبغضهم

يعود الضّميرُ في قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ على لفظ ﴿اثْنَيْنِ﴾، مع موصوفِه المحذوفِ، أي: (فكذّبوا الرّسولَين الاثنين اللّذَين أرسلناهما)، وكان مِنَ الممكن حذفُ المفعول والاكتفاءُ بالفعل (فكذبوا)، ويكونُ المُكَذَّبُ معلومًا مِنَ السّياق، ولكنَّ استحضارَ الرّسولَين بتسليطِ فعْلِ التّكذيب عليهما أنبأَ بإصابتهما بما يضرُّهُما حِسّيًّا كما ضُرّا معنويًّا بالتّكذيبِ، وأنّهم يُبغضون الرُّسلَ كما يُبغضون الرّسالةَ.

فائدةُ حذْفِ مُتعلَّقِ الفعل:

تكذيبُ الرُّسلِ لا يتجزّأ

حُذف متعلَّقُ الفعل ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ لإفادة العموم، أي: (فكذّبوهما في كلِّ ما أرسلوا به)، أي: في كونِهم رسولَيْنِ مِن عند اللّه، وفيما كانا يَدعوان إليه مِن توحيد اللّه، وأنَّه لاشريك له، وهذا الإيجازُ ينسجمُ مع الإيجاز بطَيِّ الأحداثِ في الآية.

فائدةُ الفاءِ في قولِه ﴿فَعَزَّزْنَا﴾:

عنايةُ اللّه برُسلِه بتقويتِهم وإظهار حجّتِهم

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾: للتّرتيب والتّعقيب، بمعنى أنّه تَرتَّبَ على تكذيب الرّسولَين تعزيزُهما بثالث، من غير مهلةٍ بينهما، وفيه إشعارٌ بعناية اللّه برسلِه، ورعايتِه لهم، وبلطفِه ورحمتِه للقوم المُكذِّبين، حيثُ لم يُعجِّلْ لهم بالعقوبة عقِبَ تكذيبِهم الاثنين، وإنّما أَمْهلَهُم بمجيء ثالثٍ.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظ (عزَّزَ):

عُبِّرَ بالتَّعزيز في قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ للإيذان بأنَّ إرسالَ

الرّسول الثّالث لتقويتهما في أنفسهما، وتقويةِ رسالتِهما، فإنَّ التَّضافُر على الشّيء أقوى لشأنه، وأعونُ على ما يُراد منه[1]، والمعنى: (قَوَّيْناهما وشَدَدْنا أَزْرَهما برسولٍ ثالثٍ)، فظاهَرَ الحججَ عليهم باثنين، ثمَّ ثالثٍ، لِكَي تَكونَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةُ أَشَدَّ[2]، أي: فأوقعنا العزّةَ لرسولَيْنا، أو للرّسالة، بسبب ما وقع لهما مِن الوَهَن بالتّكذيب[3]، وفي التّعبير بهذا اللّفظ أيضًا: معنى القهرِ والغلَبةِ، ومنه العزيز الذي يَقهَرُ، ولا يُقهَرُ، وفيه كذلك إشعارٌ بأنَّ الله تعالى عزيزٌ غالبٌ، لا يترك رُسلَه وأولياءَه؛ فإنَّ الذي يُعزِّزُ لا بدَّ أن يكون متّصفًا بكونِه عزيزًا، وفيه أيضًا إيذانٌ بأنَّ عِزَّ الحقِّ فيه ذلُّ الباطل.

تقويةُ الرّسولَين وإذلالُ الباطلِ

دلالةُ صيغةِ (فعّل):

عبّر النّظمُ القرآنيُّ بصيغة (فعّل) في قولِه: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ للإشعار بالكثرة؛ ليفيدَ أنَّ أصلَ العزّة موجودٌ؛ أي: لم يكن الرّسولان ذليلَيْن، ثمَّ حصلَ عزُّهما بالثّالث؛ بل المُرادُ أنَّ الله تعالى قوَّى عزَّهم، وزادَه بإرسالِ ثالثٍ، ليحصل المقصودُ؛ وهو الشّدّةُ والغلبةُ في الحجّة والبيان.

تكثيرُ عددِ المرسَلين ليحصلَ المقصودُ وهو الشّدةُ والغلبةُ في الحجّة والبيان

فائدةُ إسنادِ الفعْلِ إلى ضمير العظمة:

أُسْنِد الفعلُ في قوله: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ إلى ضمير العَظَمة، للإشعار بقوّة التّعزيز وعظَمتِه، وأنَّ مِثْل هذا التّعزيزِ لا يَقْدِرُ عليه إلّا الله الملكُ الواحدُ الأحدُ.

توجيهُ قراءتَيْ قوله ﴿فَعَزَّزْنَا﴾:

قرأ جميعُ القرّاء سوى شعبة عن عاصم ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتّشديد، وقرأ شعبة ﴿فَعَزَزْنَا﴾ بالتّخفيف، ومعناه إذا شُدِّدَ: فقوَّينا وشدّدنا، وإذا خُفِّفَ: فغلَبْنا وقهرنا، فقراءةُ التّشديدِ بيانٌ أنّ الله قوّى الرّسولَين وغلّبهما على أعدائهما بإرسال الثّالث، وقراءةُ التّخفيف

تعاضُدُ القراءتَين في المعنى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 105.
(2) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم: 10/ 3191، والشافعي، الرسالة، ص: 437.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 105.

تشير إلى غلبة اللّه وقهره على أعدائه، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾ [ص: 23] أي: غلبني؛ قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة: 21].

وذهب بعضُ المفسّرين إلى أنّ قراءةَ التّخفيف ترجع إلى قراءة التّشديد، فالتّقويةُ فيها معنى الغلبة، والغلبةُ فيها معنى التّقوية، قال الفرّاء: عَزَّزْنا وعَزَزْنا كقوله شَدَّدْنا وشَدَدنا بالتّخفيف والتّثقيل ونحوِ ذلك[1].

فائدةُ حذْفِ المفعول:

اجتماعُ التّعزيزِ الحسّيّ والمعنويِّ أقوى وأبلغُ

حُذف مفعولُ الفعلِ في قوله: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾، والذي هو بتقدير: فعزّزناهما بثالثٍ، وهو مفهومٌ مِنَ السّياق، وسببُ الحذف: أنَّ المقصود إظهارُ اقتدارِه ﷻ على إيقاع فعْلِ التّعزيز وتصريفِه في كلِّ ما أُريدَ له، والغرضُ مِنَ الكلام ذكرُ المعزَّز به؛ وهو الرّسول الثّالثُ، وإذا كان الكلام مُنْصَبًّا على غرضٍ مِنَ الأغراض جُعل سياقُه له، وتوجّهُه إليه، كأنَّ ما سواه مرفوضٌ مَطَّرَحٌ[2]، ويمكنُ أن يُقال: أفاد الحذفُ عمومَ التّعزيز للرّسولَيْن وللرّسالة؛ ليفيد التّعزيزَ الحسّيَّ والمعنويَّ، أي: عزّزناهما، وعزّزنا رسالتهما، والمعنى: ثبّتناهما، وقوّيناهما على الاستمرار في الدّعوة بثالثٍ، وقوّينا وشدَّدنا رسالتهما[3]؛ بتحقيقِ صدْقِها وتقريرِه.

فائدةُ الباءِ في قوله ﴿بِثَالِثٍ﴾:

الباء في قوله: ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ﴾ سببيّةٌ، والمعنى: فعزّزناهما، أو فعزّزنا رسالتَهما وأمرَهما بسبب إرسالِ رسولٍ ثالثٍ، وتَحتمل أن تكون للملابسة، بمعنى: اختلط التّعزيزُ بإرسال رَسولٍ ثالثٍ.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 510، والسمعاني، تفسير السمعاني: 4/ 371، والبغوي، معالم التنزيل: 7/ 13، وابن الجزري، النشر: 2/ 353.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 8.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 14.

فائدةُ حذْفِ الموصوفِ:

حُذف الموصوفُ، واكتُفيَ بالصّفة في قولِه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾، على طريق الإيجاز، والتّقديرُ: فعزّزنا برسولٍ ثالثٍ؛ كما هو ظاهرُ السّياق، أوِ التّقدير: فعزّزنا رسالتَهما برسالةِ رسولٍ ثالثٍ، وهذا الحذفُ مبنيٌّ على حذف المفعول، ومُحقِّقٌ له.

فائدةُ الفاءِ في قولِه: ﴿فَقَالُوٓاْ﴾:

كثرةُ أهلِ الحقِّ معتبرةٌ، فهي تفيدُ تقويةَ قولِهم وتقريرَه

تُفيد الفاءُ التَّعقيبَ والسَّببيَّة، أي: إنَّ قولَهم أعقب التّعزيزَ، وتسبَّب عنه؛ ليفيد حصولَ العزّة للمرسلين؛ والمعنى: (فعزّزنا بثالثٍ، فحصل ما أردنا مِنَ العزّة، فقالوا)، وليفيد أنَّ كثرة أهلِ الحقِّ تفيد تقويةَ قولِهم وتقريرَه، فتدفعُهُم إلى الإسراع إلى الدّعوة، والجرأة على خطاب أهلِ الباطل بعدَ تكذيبِهم العنيفِ، فالكثرةُ مُعتبرةٌ، وتفيدُ الفاءُ التّفصيلَ، فيكون قولُه: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ بيانًا لقوله ﷻ: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ﴾[1].

بلاغةُ الإسنادِ في ﴿فَقَالُوٓاْ﴾:

إقامةُ الجماعةِ العزيزةِ القويّةِ أمام المكذِّبين

يَحتمل في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ أن يكون (القول) صدرَ مِنَ الرّسل جميعًا، فيكون الكلامُ على الحقيقة، وهو الموافق لمعنى التّعزيز والتّقوية، أي: فحصل لهم مِنَ القوّة والمنَعة ما جعلهم جميعًا يقولون هذا القولَ، ويحتمل أنْ يكون القولُ صدر مِن واحدٍ منهم، وأُسند إلى الجميع على المجاز العقليِّ، لرضاهم به[2]، والحملُ على المجاز الإسناديِّ أبلغُ في تقرير التَّعزيز؛ لأنَّ الرّسلَ صاروا جماعةً ذاتَ كلمةٍ واحدةٍ، فلا يستطيعُ أحدٌ غلبتَهُم ولا التَّجرُّأَ عليهم، فإذا قال واحدٌ منهم شيئا كان كأنَّ القائلَ جميعُهُم.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 395.

(2) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 13، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 104.

فائدةُ التّأكيدِ بـ(إنَّ)، وحذفِ النونِ:

الرّسلُ مُشفقونَ على مَن يُرْسَلون إليهم

أفاد التّأكيدُ بـ(إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ تقريرَ مضمونِ الجملة؛ لسَبْق إنكارِ أصحاب القرية إرسالَ الرّسولَيْن؛ فإنَّ التَّعزيز بالثّالث يُؤْذِنُ بأنَّهم كذَّبوا الاثنين، ولمّا كان تكذيبُ الرّسولَيْن تكذيبًا للثّالثِ؛ لاتِّحادِ كلمتهم ودعوتِهم: أكَّدوا الخبر تأكيدًا وسطًا بـ(إنَّ)؛ للإشعارِ بأنَّ ما هم عليه مِنَ الأدلَّة والبراهين لا يحتاجُ إلى المبالغة في التّأكيد، ويسمَّى هذا بالخبر الطّلبيِّ[1]، ويجوز أن يكونوا قد نبَّهوا على هذا المعنى بحذف إحدى نونَيْ: (إنَّ) أيضًا، ويجوز أن يكون المحذوفُ نونَ (نا)؛ دلالةً على هضم أنفسِهم، وتلطُّفهم وتودُّدِهم للقوم؛ وهم يقولون أو يقول أحدُهم لهم: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾، ويحقِّقُ هذا تقديمُ: ﴿إِلَيۡكُم﴾ على: ﴿مُّرۡسَلُونَ﴾.

فائدةُ تقديمِ: ﴿إِلَيۡكُم﴾ على: ﴿مُّرۡسَلُونَ﴾:

في التّقديمِ مزيدُ بيانِ حرْصِ الرُّسل على هدايتهم

قُدّم الجارُّ والمجرور ﴿إِلَيۡكُم﴾ على عاملِه ﴿مُّرۡسَلُونَ﴾ في قولِه: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾؛ للإيذانِ باهتمامِ الرّسل بأمر المُرْسَل إليهم، لتبليغِهم ودعوتِهم إلى التّوحيد[2]، ويفيد التّقديمُ القصرَ، بمعنى: (إنّا إليكم - لا إلى غيرِكم - مرسلون)؛ ليَشعرَ القومُ بخَصوصيَّتهم بأن أُرسل لهم ثلاثة رُسلٍ؛ ممّا يقتضي مزيدَ ترغيبٍ في اتّباعِهم، وقَبول دعوتِهم، وفي تقديم الجارّ والمجرور رعايةٌ للفاصلة[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّعزيزِ والتّقويةِ:

التَّعزيزُ أعمُّ مِنَ التَّقويةِ

التّعزيز مِنَ العِزَّة، وهي الشِّدَّةُ والقوَّةُ والامتناعُ والغلبةُ والقهرُ وما ضاهَى هذه المعانيَ، ومنه العَزيز، وهو القويّ الشَّديد الغالب

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 161، والشربيني، السراج المنير: 3/ 343، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 360.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 360.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 106، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 104.

القاهر الذي لا يُغْلَب، ولا يُقهَر، وأمّا التّقويةُ فتُطلق غالبًا على المُعاوِن مِن خارجٍ في قوّة البدن والقدرة[1]، والتَّقويةُ تكونُ بعد ضعفٍ، وأما التَّعزيزُ فيكونُ بعد قوَّةٍ، ولمّا كان المقصودُ في قولِه: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ التّقويةَ؛ مع انضمام معنى الشّدّة والتّماسك والامتناع مِنَ الكافرين، بحيث لا يُغلَبون، ولا يُقهرون: عُبّر بـ(عَزَّزنا)، دون (قوّينا).

(1) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عزز، قوي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»